

الحلقة المئة والثانية

أقوال المسيح

برنامج أنوار كاشفة

أهلاً ومرحباً بك مستمعي العزيز في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. يسرنا أن نتابع تقديم هذه السلسلة وهي تحت عنوان: «أقوال المسيح». لقد تكلم المخلص يسوع المسيح بأقوال عديدة مليئة بالحكمة، مما أثار إعجاب الناس من حوله، كما أكدت أيضاً على سلطانه الإلهي.

هل تتوق مستمعي إلى السلام؟ أي إلى سلام القلب من الداخل؟ وإلى راحة الضمير؟ وهل تعلم أهمية أن يتمتع الإنسان بسلام القلب والضمير وراحتهما؟ أما في الواقع فكم من إنسان يفقد سلام القلب فتحوّلت حياته إلى جحيم، وأصبح لا يعرف معنى السلام أو الراحة.

هل تعلم مستمعي أن من أحد أهداف مجيء المخلص المسيح إلى عالمنا هو أن يحلّ السلام في قلب الإنسان؟ ويعطيه راحة الضمير؟ لهذا أنشدت الملائكة عند ولادته هاتفة: «الْمَجْدُ لِلَّهِ فِي الْأَعَالِي، وَعَلَى الْأَرْضِ السَّلَامُ، وَبِالنَّاسِ الْمَسْرَّةُ» (بشارة لوقا ٢: ١٤). وبترجمة أخرى: «وسلام على الذين سرّ بهم الله».

إنّ هدف السلام هو من الأهداف الرئيسية لمجيء المسيح إلى عالمنا. ولهذا نجد المسيح قبل ذهابه إلى الصليب ومغادرته لعالمنا، يصرّح لتلاميذه قائلاً: «سَلَامًا أَتْرُكُ لَكُمْ. سَلَامِي أُعْطِيكُمْ. لَيْسَ كَمَا يُعْطِي الْعَالَمُ أُعْطِيكُمْ أَنَا. لَا تَضْطَرِبْ قُلُوبَكُمْ وَلَا تَرْهَبْ» (بشارة يوحنا ١٤: ٢٧). فما هو نوع السلام الذي أشار إليه المسيح ووعده به تلاميذه؟ وهل ما زال الحصول على هذا السلام ممكناً في عصرنا الحاضر؟ وكيف بإمكاننا أن نحصل عليه؟ سنجيب الآن عن هذه التساؤلات وغيرها فابقوا معنا أصدقائي.

صديقي المستمع، نعيش في وسط عالم مليء بالاضطرابات والحروب والآلام، وغدا السلام بعيد المنال لا بل من المستحيل تحقيقه. لكن المخلص يسوع المسيح وهو عارف بما يجتازه عالمنا في مختلف البلدان وفي كل العصور والأزمان، وعد تلاميذه وكل المؤمنين به بالسلام.

وهذا السلام الذي وعد به المخلص المسيح هو سلام من نوع خاص يختلف بالكلية عن السلام الذي يعطيه العالم ويتحدث عنه. فهو سلام إلهي روحي يملأ قلب الإنسان من الداخل، ويزيل منه كل اضطراب وخوف، ويحل مكانهما سلام الله العجيب الفائق الوصف. ولهذا قال المخلص المسيح لتلاميذه: «سَلَامًا أَتْرُكُ لَكُمْ. سَلَامِي أُعْطِيكُمْ. لَيْسَ كَمَا يُعْطِي الْعَالَمُ أُعْطِيكُمْ أَنَا. لَا تَضْطَرِّبْ قُلُوبَكُمْ وَلَا تَرْهَبْ». فهذا السلام يختلف بالكلية عن نوعيّة السلام الذي يعطيه العالم المادي، وهو أيضاً سلام دائم وليس سلاماً مؤقتاً. الأمر الذي يميّزه عن سلام العالم المؤقت.

وعندما يحصل المرء على هذا النوع من السلام لن يعرف الاضطراب ولا الخوف، بالرغم من كل الظروف الصعبة التي يمر بها. فهو سلام لا علاقة له بالظروف المحيطة، لأنه سلام إلهي روحي يملأ داخل الإنسان ويجعله يشعر بالراحة والاطمئنان. وها هو الرسول بولس من رسل المسيحية الأوائل يصفه: «بسلام الله الذي يفوق كل عقل» (فيلبي ٤: ٧). والسبب لأنه سلام عجيب يحل في قلب الإنسان المؤمن بالمسيح. ولا بدّ أن كل إنسان يتوق لكي يحصل على هذا السلام الفائق العقل، الذي يزيل من حياته الاضطراب والشقاء ويحل مكانهما الراحة والثقة الكاملة بالله.

لعلّ السؤال الآن: كيف بإمكاننا الحصول على هذا السلام الإلهي العجيب الدائم؟ وللجواب نقول: هناك خطوة أولى على الإنسان أن يُقدم عليها لكي يصبح بإمكانه أن يحوز على هذا السلام، ألا وهي خطوة التوبة والإيمان. أي التوبة عن خطاياها ثم الإيمان بالمخلص المسيح. هل تعلم مستمعي أن الإنسان الخاطيء هو في حالة عداوة مع الله القدوس؟ ولكي تنتهي هذه العداوة ويحل مكانها السلام لا بدّ أولاً أن يتوب عن خطاياها، ثم يؤمن بالمخلص المسيح وموته الكفاري على الصليب من أجله. إن المسيح صالحنا مع الله القدوس بموته الكفاري على الصليب من أجل خطايانا.

وعندما يؤمن الإنسان بقاء المسيح لخطاياها، يغفر الله ذنوبه، ويجعله من أولاده، وهكذا تنتهي العداوة بينه وبين الله خالقه، ويحل السلام مكانها. ولهذا كتب الرسول بولس أيضاً قائلاً: «فَإِذْ قَدْ تَبَرَّرْنَا بِالْإِيمَانِ لَنَا سَلَامٌ مَعَ اللَّهِ بِرَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ» (رومية ٥: ١)، وهذا ما يسمّيه الرسول بولس أيضاً بعملية المصالحة. وعندما يتبرر الإنسان الخاطيء بالإيمان وتتم عملية المصالحة، يحل السلام بينه وبين الله خالقه، ويصبح من أولاد الله. وعندها يحل الله بسلامه العجيب في كيانه الداخلي، هذا السلام الذي لا يتعلّق بالظروف المحيطة الصعبة التي يواجهها الإنسان، لأنه سلام داخلي ودائم.

هذا هو السلام الذي قال عنه المخلص المسيح أنه سيعطيه لتلاميذه ولكل من يؤمن به. إن هذا السلام الذي يهبه الله لكل من يؤمن بالمسيح لا يقتصر فقط على السلام ما بين الإنسان والله، والسلام الداخلي، لكنه امتدّ ليشمل أيضاً العلاقة ما بين الإنسان وأخيه الإنسان.

هل تعلم مستمعي أنه بفداء المسيح حلّ السلام ما بين كل المؤمنين بالمسيح بالرغم من كونهم من شعوب وأجناس مختلفة؟ لقد أصبح المؤمنون بالمسيح بالرغم من خلفياتهم المتعددة شعباً واحداً، ولم يعد يوجد أي فرق بينهم. لهذا كتب الرسول بولس أيضاً إلى المؤمنين بالمسيح قائلاً: «لأنكم جميعاً أبناء الله بالإيمان بالمسيح يسوع. ليس يهودي ولا يوناني. ليس عبداً ولا حرّاً. ليس ذكرًا وأنثى، لأنكم جميعاً واحد في المسيح يسوع» (الرسالة إلى غلاطية ٣: ٢٦، ٢٨). هذا هو السلام الذي حلّ بين جميع الشعوب بالرغم من تنوعهم واختلافاتهم العرقية والطبقية والجنسية.

ألا تود مستمعي أن تتصالح مع الله ويحل السلام بينك وبينه؟ أولاً ترغب أن تحصل أنت أيضاً على هذا السلام العجيب الذي يملأ قلبك؟ أولاً تتوق أن يحل السلام بينك وبين أخيك الإنسان؟ لم لا تؤمن الآن بالمخلص المسيح الذي مات على الصليب ليكفر عن خطاياك فتحصل على السلام الفائق الوصف الذي يغمر كيانتك!